



ISSN Print: 2394-7500
ISSN Online: 2394-5869
Impact Factor: 5.2
IJAR 2019; SP12: 14-25

Dr. Ali Saddam Nasr Allah
Asst. Prof., College of
Education for Women-
University of Basrah, Iraq

(Special Issue-12)

**“International Conference for Humanities and Technology
ICFHAT”**

(27-28th October, 2019)

**The success of caliph al-Hafiz of The Religion of God
in ending the rule of ministers after his renewal under
his reign and the unilateral rule of the Fatimid state
until his death (524-544 Ah/1129-1149 AD)**

Dr. Ali Saddam Nasr Allah

Abstract

In getting rid of the domination of the ministers during his reign (495-524 Ah/1101-1129 A.D.) and his unilateral rule under the Fatimid state, this domination soon returned under the reign of caliph al-Hafiz allah (524-544 Ah/1129-1149) which followed in the rule of the state, as a result of several factors and circumstances, perhaps. One of the most important is that al-Hafiz assumed power in unusual circumstances resulting from the assassination of the caliph al-Amir, and then the emergence of an heir problem in the rule of the state, the accounts differed in determining it. Therefore, after the assassination of the commander, al-Hafiz was not appointed immediately after the assassination of the commander as an actual or stable successor, but was appointed as a warehouse successor or a successor to the heir of the command, which weakened his position, because he was not a supposed caliph of obedience from the forces of the state and all its elements, especially since these forces were not in harmony with each other on the one hand, With the Fatimid dynasty, on the other hand, this led to the resurgence of the phenomenon of the tyranny of ministers under the Fatimid state again under the caliph al-Hafez.

The circumstances of the fatimid state, which was turbulent at the time, gave these ministers an opportunity to emerge, driven by their ambition to take power and despotism, in keeping with the tradition created by Badr al-Jamali, the first ministers of delegation, so that this tyranny also included the ministers who appointed them the conservative with a desire. from him and they did not impose on him. It was aided by the tyranny of these ministers that each of them was surrounded by a group of supporting soldiers. In addition, the al-Hafiz era also witnessed a second division in the ranks of the Ismaili da'wa, after the first division into Nizari and Mustaia, as The Ismailis divided in his reign into conservative supporters of the right of the governor in the caliphate, and the kindness of supporters of the right of Tayeb bin al-Amir, which led to the weakening of the Fatimid state in a way A year later he contributed to its final fall in 567 Ah/1171 AD.

Despite the gravity of the challenges faced by the Fatimid state under the Hafiz for the religion of God, which not only the tyranny of his ministers by the rule of the state without him, but also included some attempts at coup sought to remove him from the post of caliphate, he proved great ability to face those challenges. He managed to win the result of this confrontation in his favor, and succeeded in eliminating those coup attempts and ending the tyranny of his ministers after eight years of his effective rule, in the year 534 H/1139, which saw him dispense with the actions of the ministers for the remainder of his rule of about ten years, alone by virtue of The Fatimid state until his death in 544 Ah/1149 AD

Correspondence
Dr. Ali Saddam Nasr Allah
Asst. Prof., College of
Education for Women-
University of Basrah, Iraq

الملخص:-

على الرغم من نجاح الخليفة الأمر بأحكام الله في التخلص من تسلط الوزراء في عهده (495-524هـ/1101-1129م) وانفراده بحكم الدولة الفاطمية ، إلا ان هذا التسلط سرعان ما عاد في عهد الخليفة الحافظ لدين الله (524-544هـ/1129-1149م) الذي أعقبه في حكم الدولة ، نتيجة عوامل وظروف عدة لعل من أهمها تولي الحافظ الحكم في ظروف غير اعتيادية ناجمة عن اغتيال الخليفة الأمر ، ومن ثم ظهور مشكلة وريث له في حكم الدولة اختلفت الروايات في تحديده . لذا فإن الحافظ لم يُعَيَّن بعد اغتيال الأمر مباشرة كخليفة فعلي أو مستقر ، وإنما عُيِّنَ كخليفةٍ مستودع أو كفيلاً لوريث الأمر ، مما أدى الى اضعاف موقفه ، لأنه لم يكن خليفةً مفترض الطاعة من قوى الدولة وعناصرها كافة ، ولا سيما أن معظم هذه القوى لم تكن على وئام مع بعضها من جهة ، ومع الأسرة الفاطمية الحاكمة من جهةٍ أخرى ، ومن ثم أدى ذلك الى عودة ظاهرة استبداد الوزراء بحكم الدولة الفاطمية مجدداً في عهد الخليفة الحافظ .

وقد أتاحت ظروف الدولة الفاطمية المضطربة حينذاك لهؤلاء الوزراء فرصةً سانحةً للظهور مدفوعين بطموحهم الى تولي السلطة والاستبداد بها ، جرياً على التقليد الذي أحدثه بدر الجمالي أول وزراء التقييض ، بحيث أن هذا الاستبداد قد شمل أيضاً الوزراء الذين عيَّنهم الحافظ برغبةٍ منه ولم يفرضوا عليه فرضاً . وقد ساعد على استبداد هؤلاء الوزراء أن كلاً منهم كان محاطاً بطائفةٍ من الجند المؤيدين . يضاف الى ذلك أن عهد الحافظ قد شهد أيضاً انقساماً ثانياً في صفوف الدعوة الاسماعيلية ، بعد الانقسام الأول الى نزارية ومستعلية ، اذ انقسم الاسماعيلية في عهده الى حافظة مؤيدين لحق الحافظ في الخلافة ، وطيبية مؤيدين لحق الطيب بن الأمر فيها ، مما أدى الى اضعاف الدولة الفاطمية بشكل عام وأسهم بعد ذلك في سقوطها النهائي سنة 567هـ/1171م .

وعلى الرغم من جسامه التحديات التي تعرضت لها الدولة الفاطمية في عهد الحافظ لدين الله ، التي لم تقتصر فقط على استبداد وزرائه بحكم الدولة من دونه ، بل شملت أيضاً بعض محاولات الانقلاب التي استهدفت خلعه من منصب الخلافة ، إلا انه قد أثبت مقدرةً كبيرةً على مجابهة تلك التحديات ، وتمكن من كسب نتيجة هذه المجابهة لصالحه ، فنجح في القضاء على تلك المحاولات الانقلابية وإنهاء استبداد وزرائه بعد مرور ثمان سنوات من حكمه الفعلي ، وذلك سنة 534هـ/1139م التي شهدت

استغناؤه عن اتخاذ الوزراء طيلة المدة المتبقية من حكمه البالغة حوالي عشرة أعوام ، منفرداً بحكم الدولة الفاطمية حتى وفاته سنة 544هـ/1149م .

على الرغم من نجاح الخليفة الأمر بأحكام الله⁽¹⁾ في التخلص من تسلط الوزراء في عهده (495-524هـ/1101-1129م) وانفراده بحكم الدولة الفاطمية⁽²⁾ ، إلا ان هذا التسلط سرعان ما عاد في عهد الخليفة الحافظ لدين الله (524-544هـ/1129-1149م) الذي أعقبه في حكم الدولة .

وقبل أن نبين أسباب ذلك ، لا بد من التعريف بالخليفة الحافظ لدين الله ، فمن هو الحافظ ؟

هو أبو الميمون عبد المجيد بن أبي القاسم محمد بن الخليفة المستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله بن المعز لدين الله بن المنصور بنصر الله بن القائم بأمر الله بن عبد الله المهدي⁽³⁾ ، وتسلسله الحادي عشر في خلفاء الدولة الفاطمية من حين قيامها في بلاد المغرب ، والثامن في سلسلة الخلفاء الفاطميين بمصر .

تولى الخلافة بعد اغتيال ابن عمه الأمر بأحكام الله في شهر ذي القعدة سنة 524هـ/1129م⁽⁴⁾، وكان حينها في سن السابعة والخمسين ، اذ ولد في عام 467هـ/1074م بمدينة عسقلان جنوبي بلاد الشام ، التي كان قد لجأ إليها والده أبو القاسم محمد

1 - الأمر بأحكام الله: هو أبو علي المنصور بن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله بن المعز لدين الله بن المنصور بنصر الله بن القائم بأمر الله بن عبد الله المهدي ، عاشر خلفاء الدولة الفاطمية من حين ابتدائها ببلاد المغرب ، والسابع من خلفاء مصر ، ولد سنة 490هـ/1096م ، وأستخلف سنة 495هـ/1101م وهو طفلاً صغيراً لا يتجاوز الخامسة من عمره ، استمرت خلافته تسعة وعشرين عاماً انتهت باغتياله سنة 524هـ/1129م . ينظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص362 ؛ ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص24-26 ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، 299/5 ، 301-302 ؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، 123/36 ، 124 ؛ المقرئزي: اتعاظ الحنفا، 31/3 ، 130

2- عن كيفية تخلص الأمر من تسلط وزرائه وانفراده بحكم الدولة الفاطمية ينظر: نصر الله: انهاء الخليفة الأمر بأحكام الله تسلط الوزراء في عهده، ص59 ومابعدها .

3 - ابن خلكان: وفيات الأعيان، 235/3 ؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، 194/37 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 231/5

4 - اغتيال الأمر من قبل جماعة من النزارية، كانوا يعدونه ووالده المستعلي غاصبين للخلافة من نزار الابن الأكبر للمستنصر وصاحب الحق الشرعي بها . وحدث اغتياله في شهر ذي القعدة سنة 524هـ/1129م عندما كان متوجهاً الى اليهودج الذي بناه لزوجته البدوية في جزيرة الروضة. ينظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص362 ؛ ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص24-26 ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، 301/5 ، 302

قبل هذا التاريخ ، على أثر الأزمة الاقتصادية والأوضاع المضطربة التي شهدتها مصر في عهد الخليفة المستنصر بالله⁽⁵⁾ (427-487هـ/1035-1094م)⁽⁶⁾. وهذه السن الكبيرة التي تولى فيها الحافظ الخلافة البالغة سبعة وخمسين عاماً هي من جملة الأمور التي ميزته عن سابقه من الخلفاء الفاطميين ، الذين لم يبلغوا هذه السن عند توليهم الخلافة ، لا بل أن بعضهم قد توفي في سن أصغر منها بكثير ، ومنهم على سبيل المثال الخليفة السابق الأمر بأحكام الله ، الذي أُعتيل وهو في سن الرابعة والثلاثين ، بعد حكم دام تسعة وعشرين عاماً ، إذ تولى الخلافة صغيراً جداً لم يتجاوز الخامسة من عمره⁽⁷⁾.

ومما ميز أيضاً الحافظ لدين الله ، أنه أول خليفة فاطمي يتولى منصب الخلافة ووالده ليس خليفة ، أما الخليفة الآخر فهو حفيده العاضد لدين الله عبد الله بن الأمير يوسف آخر خلفاء الدولة الفاطمية (555-567هـ/1160-1171م)⁽⁸⁾ .

أما الميزة الأخرى التي ميزت عهد الخليفة الحافظ لدين الله فهو الصراع الذي خاضه مع وزراء عهده ، الذي انتهى لصالحه ، وعلى الرغم من ان الخليفة السابق الأمر بأحكام الله قد خاض صراعاً من النوع نفسه ونجح فيه أيضاً ، فكان له بذلك مزية سبق بين خلفاء عصر تسلط الوزراء (468-567هـ/1075-1171م)⁽⁹⁾، في انهاء تسلط وزراء عهده ، إلا ان صراع الأمر مع وزرائه المستبدين أو الذين حاولوا الاستبداد لم يكن بسعة

صراع الحافظ مع وزرائه ولا بشدته ، وهذا ما سنناقشه من خلال البحث .

وعلى أية حال ، سنتعرف على هذه الميزات التي ميزت عهد الخليفة الحافظ لدين الله وغيرها بصورة أوضح وأدق ، حين نتعرف على أهم الأسباب المؤدية الى عودة تسلط الوزراء في عهد هذا الخليفة ، بعد أن نجح سلفه الأمر بأحكام الله في انهاء ذلك التسلط ، فما هي تلك الأسباب ؟

ربما تكمن أسباب ذلك في عوامل وظروف عدة لعل من أهمها : أن الحافظ لدين الله قد تولى حكم الدولة الفاطمية في ظروف غير اعتيادية ناجمة عن اغتيال الخليفة الأمر بأحكام الله⁽¹⁰⁾ ، الذي اختلفت الروايات حول وريثه في الحكم ، ما بين روايات أشارت الى تركه طفلاً صغيراً اسمه الطيب أنجبه قبل ثمانية أشهر من اغتياله ، وقد سرّ سروراً كبيراً بولادته لكونه ابنه الوحيد ووريثه في الحكم ، لذلك سرعان ما عينه ولياً لعهد ، وأقام مظاهر الاحتفال والابتهاج في مصر بهذه المناسبة⁽¹¹⁾ ، وأصدر سجلاً أرسله الى السيدة الحرة الصليحية أروى بنت أحمد التي كانت تتولى حكم اليمن (477-532هـ/1084-1137م) والتي كانت تُدين بالطاعة للدولة الفاطمية ، بشرها فيه بولادة ابنه الطيب وانه سيكون ولياً لعهد⁽¹²⁾. وبعد اغتيال الأمر تم تهريب ابنه الطيب الى اليمن خوفاً عليه من أعداء الأمر أو الطامحين الى تولي الحكم⁽¹³⁾ .

في حين أشارت روايات أخرى الى تركه احدى زوجاته حاملاً⁽¹⁴⁾ ، وقد تضاربت الأقوال في شأن نتيجة الحمل ، فبعض المصادر أشارت الى أن المولود قد جاء بنتاً ، في حين أشارت مصادر أخرى الى انه قد جاء ذكراً ، وان أمه عمدت الى اخفائه عن الأنظار خشيةً عليه من الوزير أبي علي أحمد بن الأفضل - الذي سنأتي الى ذكره لاحقاً- ومن الحافظ أيضاً الذي نجح فيما بعد في العثور عليه وقتله كي يستقل بحكم الدولة⁽¹⁵⁾ .

5 - المستنصر بالله: هو أبو تميم معد بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن عبد الله المهدي ، ولي الخلافة بعد أبيه وله سبع سنين ، وذلك في شهر شعبان سنة 427هـ/1035م ، فامتدت أيامه ستين سنة وأربعة أشهر حيث توفي سنة 487هـ/1094م فكانت بذلك أطول مدة خلافة في التاريخ الاسلامي ، وكان المستنصر حسن السيرة ، جميل السريرة ، محباً للعدل والانصاف ، إلا انه مُني في أكثر خلافته من الأجناد بالعناد والاختلاف . ينظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص211؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، 196-186/15

6 - ابن الأثير : الكامل ، 255/9 ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ، 236/3 ؛ العباسي الصفدي : نزهة المالك والمملوك، ص123 ؛ الذهبي: تاريخ الاسلام ، 195/37
7 - ابن الأثير : الكامل ، 255/9 ؛ ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص110 ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ، 301/5
8 - ابن الأثير: الكامل، 361/9 ؛ ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر ، ص141 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 236/3 ؛ ابن أيك: كنز الدرر ، 512-511/6 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 231/5
9 - عن هذا العصر ينظر: سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، ص103-122

10 - ينظر: ابن الأثير: الكامل، 255/9 ؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ، 226/6
11 - ينظر: ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص109-110
12 - ينظر: عمارة اليمن: تاريخ اليمن ، ص238-239 ؛ الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية ، ص91-92
13 - ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية ، ص352
14- ابن الطوير: نزهة المقلتين ، ص27 ، ابن الأثير: الكامل، 255/9 ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، 235/3 ، 236-237 ؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، 194/37؛ المقرئ: اتعاظ الحنفاء، 190/3 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 231/5
15- ينظر: الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية، ص105-109

وعلى أية حال، فإن الحافظ لم يُعَيَّن بعد اغتيال الأمر كخليفة فعلي أو مستقر (16)، وإنما عيّن كخليفة مستودع (17) أو كفيلاً لابن الأمر أو وريثه، سواء طفله المولود المسمى الطيب، أو الحمل المنتظر (18)، بحسب اختلاف الروايات في ذلك. وهذا الأمر أدى إلى إضعاف موقفه لأنه لم يكن خليفة مفترض الطاعة من قوى الدولة وعناصرها كافة، ولا سيما أن معظم هذه القوى والعناصر لم تكن على وئام مع بعضها من جهة، ومع الأسرة الفاطمية الحاكمة من جهة أخرى.

لذلك نلاحظ حصول معارضة شديدة ضد أحد مماليك الخليفة الأمر وهو هزبر الملوك جوامرذ الذي عيّن وزيراً في يوم اغتياله. وهذه المعارضة لم تكن فقط من جانب القوى المناوئة للأسرة الفاطمية أو للخليفة الأمر على وجه التحديد ونقصد بهم الأفضلية أتباع الوزير الأفضل (19) الذي نجح الخليفة الأمر في التخلص منه بتدبير اغتياله في سنة 515هـ/1121م (20)، وإنما كانت أيضاً من جانب بعض الأميرية أنفسهم، أي أتباع الخليفة الأمر أو مماليكه كالعادل بزغش الذي لم يرق له تولي زميله منصب الوزارة، حسداً وحقداً، مما دفعه إلى العمل ضده وذلك بالتعاون مع الأفضلية، ومن ثم تولية أبي علي أحمد بن الأفضل منصب الوزارة بعد إخراجها من السجن (21). وهذا يعني أن الأميرية كانوا

منقسمين على أنفسهم، مما أدى إلى ترجيح كفة الأفضلية الذين جاءوا بابن زعيمهم الأفضل إلى منصب الوزارة. فكان أول انقلاب وقع بعد اغتيال الخليفة الأمر هو الانقلاب على مملوكه هزبر الملوك جوامرذ الذي ارتقى منصب الوزارة، مع أنه لم يمكث فيه سوى يوماً أو بعض يوم، وهي مدة قصيرة جداً تعبر عن شدة المعارضة له المدفوعة بدافع الطموح السياسي والرغبة في الاستبداد بحكم الدولة أو المشاركة في حكمها على أقل تقدير، كما تعبر أيضاً عن سرعتها في حسم الأمور لصالحها.

لذلك فإن الحافظ كان في وضع لا يُحسد عليه، وهذا الوضع قد أتاح الفرصة للوزير الجديد أبي علي أحمد بن الأفضل الذي كان ناقماً على الأسرة الفاطمية بأكملها وعلى الخليفة الأمر بوجه خاص لقيامه بقتل والده الأفضل وسجن أفراد أسرته وهو من ضمنهم (22). وحين لم يجد أبو علي أحمد الخليفة الأمر على قيد الحياة لأنه كان قد أُغتيل، ووجد ابن عمه الحافظ مكانه كخليفة مستودع أو كفيّل لحمل منتظر أو ابن الأمر الطفل بحسب اختلاف الروايات في ذلك، صبّ جام غضبه وحقد عليه. ومن هنا جاء الانقلاب الثاني على الحافظ.

اذ تذكر الروايات أن أبا علي هذا اتخذ ضد الحافظ سلسلة من الإجراءات الانتقامية، فلعله عن الحكم أو ولاية العهد، ليس هذا فحسب، بل أودعه السجن، واستبد هو بالحكم، ودعا للامام المنتظر، ونقش اسمه في السكة، وتبرأ من الفاطميين ومن جدهم اسماعيل (23)، وتلقّب بألقاب كثيرة تضمنها السجل الذي أصدره بهذه المناسبة، وإجراءات أخرى لا يتسع المجال لذكرها (24).

16 - الخليفة أو الامام المستقر: هو الامام الذي يمتلك حق توريث الامامة والنص على الامام من ولده. تامر: الامامة في الاسلام، ص144

17 - الخليفة أو الامام المستودع: هو الامام الذي يتسلم مقاليد الامامة في الظروف الاستثنائية الصعبة نيابة عن الامام المستقر، ويتمتع بالصلاحيات نفسها، باستثناء حق توريث الامامة والنص عليها، ومن ألقابه ((نائب غيبة)). تامر: الامامة في الاسلام، ص144

18 - ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص27؛ ابن الأثير: الكامل، 255/9؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، 235/3؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، 194/37؛ المقرئ: اتعاظ الحنفا، 190/3

19 - الوزير الأفضل: هو أمير الجيوش أبو القاسم الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي الأرمني، كان داهية، شهماً، مهيباً كأبيه، فحل الرأي، جيد السياسة، وكانت مدة وزارته ثمانية وعشرين عاماً ابتدأت منذ وفاة أبيه سنة 487هـ/1094م وحتى اغتياله سنة 515هـ/1121م. ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، 448/2، 450؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، 385/35، 386

20 - عن اغتيال الخليفة الأمر للوزير الأفضل ينظر: نصر الله: انهاء الخليفة الأمر بأحكام الله تسلط الوزراء في عهده، ص67-68

21 - ينظر: ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص27-30؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، 236-235/3؛ النويري: نهاية الأرب، 192/28؛ الشيبان: مجموعة الوثائق الفاطمية، ص101

22 - حيث ((كان يُكثر ذم الأمر والتناقص به)) على حد قول ابن الأثير: الكامل، 261/9؛ وينظر أيضاً: ابن خلكان: وفيات الأعيان، 235/3 الذي أشار إلى اعتقال الأمر له ولأخوته.

23 - اسماعيل: هو اسماعيل بن الامام جعفر الصادق (عليه السلام)، واليه تُنسب الاسماعيلية، وهم احدى فرق الشيعة القائلين بامامته، وقد اختلفوا في وفاته، فمنهم من نفى موته، ومنهم من قال به والفائدة من النص هي بقاء الامامة في أعقابها، لذا نقل هؤلاء الامامة بعد وفاته إلى ابنه محمد و ثم إلى أبنائه المستورين فالظاهرين. ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل، 94-93/1-170-171؛ تامر: تاريخ الاسماعيلية، 94-93/1

24 - ينظر: ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص32-33؛ ابن الأثير: الكامل، 255، 261/9؛ ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص116، 113؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، 236/3؛ النويري: نهاية الأرب، 193-192/28؛ ابن أبيك: كنز الدرر، 506، 508/6؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، 194/37؛ السيوطي:

ويبدو ان هذا يفسر عدم قدرة الحافظ على تدارك هذا الانقلاب قبل وقوعه ، أو احباطه على الأقل ، لأنه أخذ على حين غرة قبل أن يتمكن من تثبيت نفسه في حكم الدولة الفاطمية . هذا ولا ننسى أن اغتيال الأمر قد أحدث صدمة مفاجئة لأنه أول خليفة يلاقي هذا المصير . وقد نجح أعداء الأمر والخلافة الفاطمية في استغلال اغتياله لصالحهم بالسرعة الممكنة ، وعن طريق تعاون الأطراف المحسوبة على الخلافة الفاطمية ، ونقصد بهم بعض جماعة الأمرية الذين عملوا لحسابهم ومصالحهم الخاصة من دون الاكتراث لمصلحة الدولة الفاطمية المنضوين تحت لوائها .

ولعل هذا الأمر يفسر محاولة الوزراء اللاحقين الاستبداد بحكم الدولة على حساب الخليفة الحافظ، على الرغم من الصلات القوية والودية التي كانت تربط بعضهم بالحافظ في بادئ الأمر أو عند توليهم الوزارة ، وإن توليهم هذا المنصب كان بموافقة الحافظ . ولكن هذا كله لم يمنع هؤلاء الوزراء مثل يانس الأرميني⁽²⁵⁾ أو حتى بهرام النصراني من الاستبداد بحكم الدولة على حساب الخليفة الحافظ والاساءة اليه سواء بطريقة مباشرة كما فعل يانس الذي عينه الخليفة وزيراً مكافأةً له على جهوده أو دوره في التخلص من الوزير المستبد أبي علي أحمد بن الأفضل الذي تمكن من اغتياله بتدبير الخليفة الحافظ نفسه ، مترعماً جماعة خواص الخليفة⁽²⁶⁾ ، وذلك في السادس عشر من شهر محرم سنة 526هـ/1131م ، بعد أربعة عشر شهراً من استبداده بحكم الدولة الفاطمية ، فعدت بذلك الأمور الى نصابها وتم اطلاق سراح الحافظ الذي تولى الخلافة بصورة فعلية ، أي كخليفة مستقر في شهر ربيع الآخر من العام نفسه⁽²⁷⁾.

ويبدو أن هذا هو سر الاختلاف في تقدير مدة حكم الحافظ ، فهناك من يجعلها حوالي عشرين عاماً ، ابتداءً من تاريخ اغتيال الأمر في شهر ذي القعدة سنة 524هـ/1129م ، وحتى وفاة الحافظ في شهر جمادى الآخرة سنة 544هـ/1149م⁽²⁸⁾. في حين حددها آخرون بثمانية عشر عاماً فقط استناداً الى تاريخ توليه الخلافة الفعلية⁽²⁹⁾ ، المشار إليها أعلاه ، وأنه قبل ذلك كان كفيل لوريث الأمر .

ومن الجدير بالذكر هنا أن اليوم الذي شهد اطلاق سراح الحافظ من محبسه، الموافق السادس عشر من محرم سنة 526هـ/1131م، قد عُدياً للفاطميين سُمي عيد النصر رمزاً لانتصار الدولة⁽³⁰⁾ على أعدائها ولا سيما محاولة الانقلاب التي قادها الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل بهدف القضاء على الدولة الفاطمية .

لذلك فإن تولي أبي الميمون عبد المجيد الخلافة بصورة فعلية - أي خليفة مستقر ، بعد أن كان خليفة مستودع ، أو ولي عهد كفيل لوريث الأمر - بلقب الحافظ لدين الله ، له دلالة واضحة على رمزية عيد النصر ، فهذا اللقب الخلافي ، وإن أُضيفت إليه عبارة (لدين الله) ، إلا انه لا يخلو أيضاً من الإشارة الى الحافظ على الدولة الفاطمية في عهد أبي الميمون عبد المجيد من السقوط جراً المحاولة الانقلابية المذكورة .

ولكن اعلان أبي الميمون عبد المجيد نفسه خليفة بلقب الحافظ لدين الله لم يمر من دون أن يحدث آثاراً سلبية على الدولة الفاطمية بشكل عام وعقيدتها الاسماعيلية بشكل خاص ، ولعل من أهم تلك الآثار وقوع انشقاق داخلي ثانٍ في صفوف الدعوة الاسماعيلية ، بعد الانشقاق الأول الى نزارية مؤيدين لحق نزار الابن الأكبر للخليفة المستنصر بالخلافة ، ومستعلية مؤيدين لحق أخيه الأصغر أبي القاسم أحمد بالخلافة، الذي نجح فعلاً في توليها بجهود الوزير الأفضل بن بدر الجمالي بعد وفاة الخليفة المستنصر سنة 487هـ/1094م ، مما أدى الى حدوث الانشقاق

سير أعلام النبلاء، 15/200 ؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، 6/226

28 - ابن الطوير: نزهة المقلتين ص37 ؛ ابن الأثير: الكامل، 9/361 ؛ العباسي الصفيدي: نزهة المالك والمملوك، ص123 ؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، 37/195؛ سير أعلام النبلاء، 15/202 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 5/235

29 - ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص478 ؛ ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص140 ؛ النويري: نهاية الأرب، 28/201

30 - ينظر: ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص34-35؛ المناوي: الوزارة والوزراء، ص139

حسن المحاضرة، 2/204-205 ؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، 6/226

25- يانس الأرميني: هو أبو الفتح يانس الأرميني الملقب بالسعيد، كان من غلمان الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، أهده اليه باديس جد عباس الصنهاجي، الوزير في عهد الخليفة الظافر وابنه الفائز، فترقى في الخدم الى أن تآمر وولي الباب ، وهي أعظم رتب الأمراء ، لقب بعد توليه الوزارة ناصر الجيوش وسيف الاسلام، وكان عظيم الهمة، بعيد الغور، كثير الشر، شديد الهيبة. المقرئ: اتعاظ الحنفاء، 3/144 ، 145

26 - خواص الخليفة أو صبيان الخاص: هم أبناء الأجناد والأمراء وعبيد الدولة ، كانوا يودعون في أماكن خاصة بعد وفاة آبائهم ، ويتم تعليمهم الفروسية . ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص143

27 - ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص35،34،33-36 ؛ ابن الأثير: الكامل، 9/261-262 ؛ ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص115-116، 117 ؛ النويري: نهاية الأرب، 28/193-194 ؛ ابن أبيك: كنز الدرر، 6/206 ؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، 37/194؛

المذكور، لمخالفة نظام الوراثة لدى الاسماعيلية الذي ينص على انتقال الامامة من الأب الى الابن ولا سيما الأكبر. وفي عهد الحافظ انقسم الاسماعيلية مرةً أخرى ، وتحديداً المستعلية الى حافظية مؤيدين لحق الحافظ في الخلافة ، وطيبية مؤيدين لحق الطيب بن الأمر فيها . وأسهم كل من الانقسامين المذكورين في اضعاف الدعوة الاسماعيلية والدولة الفاطمية بشكل عام ، وأدى ذلك فيما بعد الى سقوطها النهائي سنة 567هـ/1171م⁽³¹⁾ . أما الانقسام الثاني تحديداً الى حافظية وطيبية في عهد الخليفة الحافظ لدين الله ، فقد ترك ايضاً آثاراً خطيرة على الدولة الفاطمية ، وتسبب في خروج اليمن عن طاعة الحافظ ، لأن الملكة الحرة الصليحية التي كانت تتولى حكم البلاد ، كانت قد تآقت من الخليفة الأمر بأحكام الله كتاباً يبشرها فيه بولادة ابنه وولي عهده الطيب كما سبق أن أشرنا ، فاتهمت الحافظ باغتصاب الخلافة ، ولم تعترف بشرعية حكمه ، وأدى ذلك الى أن تصبح اليمن مركزاً مهماً للشيعنة الطيبية فضلاً عن الهند⁽³²⁾ .

هذا الى ان تولي الحافظ لدين الله الخلافة وفقاً لهذه الصورة المخالفة لنظام الامامة لدى الاسماعيلية، كان له أثر في وقوع محاولة انقلابية أخرى ضده ، سنشير إليها بعد قليل.

وعوّد الى ما كنا بصدد الحديث عنه، فإن يانس سرعان ما ساءت علاقته بالخليفة الحافظ ، حين حاول الاستبداد بالحكم دونه ، فضلاً عن اساءته الى خواص الخليفة الذين اشتركوا معه في اغتيال الوزير السابق أبي علي أحمد بن الأفضل ، وقيامه بقتل الكثير منهم، وكذلك اساءته الى بعض المقربين من الخليفة الحافظ ، فهذا كله أدى الى تدبير الحافظ عملية اغتياله بطريقة طريفة من خلال سمه بماء الاستجاء ، وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة 526هـ/1131م ، بعد مرور تسعة أشهر فقط على توليه منصب الوزارة⁽³³⁾ .

في حين كانت اساءة الوزير بهرام الأرمني النصراني للخليفة الحافظ بطريقة غير مباشرة ، فبعد أن عينه الحافظ في منصب الوزارة سنة 529هـ/1134م ، مخالفاً بذلك أهل بيته وكبار رجال دولته الذين أشاروا عليه بعدم استيثاره ، لأنه نصراني لا يصلح

لوزارة التفويض⁽³⁴⁾، وسيؤدي تعيينه الى تدمير المسلمين ، لأن وزير التفويض يجب أن يكون مسلماً ، يقوم ببعض المهام التي لا ينبغي لغيره من أهل الذمة القيام بها ، مثل الارتقاء على المنبر الى جانب الخليفة في الأعياد ، والإشراف على منصب القضاء . ولكن الحافظ تمسك برأيه في استيثار بهرام النصراني على الرغم من المعارضة المذكورة هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد قلص صلاحيات هذا الوزير النصراني في الأمور الشرعية ، وبذلك أرضى المعارضين على ديابته النصرانية التي لا تتفق مع وزارة التفويض⁽³⁵⁾. ومع ذلك فإن بهرام هذا قد أساء الى الخليفة بطريقة غير مباشرة ، حين انحاز الى أبناء ملته من النصارى ، فعمل على استقدام عدد كبير منهم قُدر بثلاثين ألفاً⁽³⁶⁾ ، وسمح لهم ببناء كنائس كثيرة ، وعينهم في وظائف الدولة على حساب المسلمين المصريين ، مما أثار نقتهم ، فوضع بذلك الخليفة في موقف محرج ، وأدى الى قيام الأمراء المسلمين بمكاتبة رضوان بن ولخشي⁽³⁷⁾ والى الغربية يدعونه للقدوم الى القاهرة ، بغية التخلص من بهرام وإنهاء نفوذ أتباعه النصارى ، بعد أن تم الاتفاق بينهم على أن يعمد جند رضوان عند وصولهم الى القاهرة الى رفع المصاحف ، فينحاز على أثر ذلك الجند المسلمون في جيش بهرام الى صفوف قوات رضوان . وقد نجح هذا الاتفاق ، وتمكن رضوان من ازالة بهرام من منصب الوزارة وتوليته مكانه ، وذلك في عام 531هـ/1136م ، فاضطر الحافظ الى الموافقة

34 - وزارة التفويض: وهي أن يعهد الخليفة بالوزارة الى رجل يفوض إليه النظر في أمور الدولة والتصرف في شؤونها من دون الرجوع إليه ، إلا ان الخليفة يحتفظ بحقه في تولية العهد ، وعزل من يوليهم الوزير ، وله حق الاستعفاء ، وليس ذلك لوزير التفويض . ينظر: الماوردي: الأحكام السلطانية، ص30-34؛ أبو يعلى: الأحكام السلطانية، ص29-31

35 - ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص44 ؛ ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص123 ؛ النويري: نهاية الأرب، 196-195/28 ؛ وينظر أيضاً: شيخو: وزراء النصرانية، ص147

36 - النويري: نهاية الأرب، 196/28

37 - رضوان بن ولخشي : كان رضوان هذا سنياً، وُلد ليلة عيد الغدير من شهر ذي الحجة سنة 487هـ/1094م، وترقى في الوظائف حتى ولي قوص وإخميم في سنة 528هـ/1133م . وعلى الرغم من وصفه بالاقدم والغلبة وشدة البأس وحسن العبارة وغزارة الأدب، إلا انه كان الى جانب ذلك طائش العقل، قليل الثبات، ضعيف السياسة والتدبير، لعجلته وجرأته . المقرئزي: اتعاط الحنفاء، 184/3 ؛ وينظر أيضاً: النويري: نهاية الأرب، 200-199/28

1- الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية، ص26-27

32 - المناوي: الوزارة والوزراء، ص139-140

33 - ينظر: ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص36 ؛ ابن الأثير: الكامل، 262/9 ؛ ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، 117-118 ؛ النويري: نهاية الأرب، 194/28 ؛ المقرئزي: اتعاط الحنفاء، 144-145/3 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 234/5

على تعيينه ، وأصدر سجلاً بذلك لقب فيه رضوان بلقب الملك ، فكان أول وزير يلقب بهذا اللقب⁽³⁸⁾ .

وسرعان ما ساءت العلاقة بين هذا الوزير والخليفة الحافظ ، حين حاول رضوان خلع الحافظ من منصب الخلافة ، لأنه كان سنياً أي مخالفاً لمذهب الخليفة الشيعي الاسماعيلي ، ولكونه غير معترف أصلاً بخلافة الحافظ ، الذي كان يرى فيه مجرد وكيل لحمل لم تثبت صحته⁽³⁹⁾ . ولكن محاولته خلع الخليفة الحافظ قد باءت بالفشل ، لأنها لم تحظ بتأييد كبار رجال الدولة ، الأمر الذي أثبت قوة مركز الخليفة على الرغم من التحديات التي تعرض لها . وهذا يعني وجود تيار كبير يرغب في استمرار الدولة الفاطمية عن طريق بقاء الحافظ في منصب الخلافة . هذا التيار الذي لم يقتصر على كبار رجال الدولة من الفقهاء والقضاة ، وإنما شمل أيضاً جزءاً من المؤسسة العسكرية في الدولة الفاطمية التي ضمت عناصر مختلفة ، ولعل في مقدمة هذه العناصر المؤيدة لها أو لخلفائها هم عنصر السودان ، هذا العنصر الذي برز دوره بشكل كبير في تاريخ الدولة الفاطمية وظهر على مسرح الأحداث في عهد الخليفة المستنصر ، لانتماء أمه السيدة رصد اليهم ، فعملت على دخولهم مصر بأعداد كبيرة قيل انها بلغت خمسين ألفاً⁽⁴⁰⁾ . وعلى الرغم من دورهم السلبي في عهد الخليفة المستنصر لمشاركتهم في الفتن التي وقعت في عهده ، ولا سيما صراعهم مع عنصر الأتراك ، الذي أدى الى ارباك الأمور وإحداث الفوضى وتدهور الأوضاع العامة ، إلا ان هذا لا يقلل من أهمية دورهم المؤيد للخلافة الفاطمية في أحيان كثيرة ، ومن ذلك ما حصل في عهد الخليفة الحافظ الذي استعان بهم في وضع حد لاستبداد رضوان بن ولخشي ، ونجح بالفعل في ذلك ، إذ تمكن من القاء القبض عليه وإيداعه السجن لمدة ثمان سنوات ، ابتداءً من سنة 534هـ/1139م⁽⁴¹⁾ .

ومنذ سجن الحافظ لرضوان لم يتخذ وزيراً من بعده ، لأنه كان قد سأم استبداد الوزراء عليه ، فانفرد في حكم الدولة بمعاونة بعض

الكتّاب الذين لم يمنح أياً منهم لقب وزير⁽⁴²⁾ ، الذي أصبح مكروهاً من قبله ، نتيجة لتجربته المريرة مع وزراءه القائمة على الاستبداد بحكم الدولة على حسابها ، هذا الاستبداد الذي سنّه بدر الجمالي الأرمني⁽⁴³⁾ ، الذي استعان به الخليفة المستنصر في سنة 466هـ/1073م لوضع حد لاستبداد الأتراك وتغلبهم عليه ، فضلاً عن اصلاح الوضع الاقتصادي المتدهور ، وفعلاً نجح بدر في مهمته ، فكافأه الخليفة بمنحه منصب وزارة التفويض في سنة 468هـ/1075م ، إلا أن هذا النجاح كان على حساب الخليفة ، حين عمد بدر الى الاستئثار بحكم الدولة من دونه⁽⁴⁴⁾ ، لا بل انه عمل على توريث منصب الوزارة الى ابنه الأفضل شاهنشاه⁽⁴⁵⁾ ، متجاوزاً صلاحية الخليفة في تعيين الوزراء .

وبعد وفاة بدر الجمالي في سنة 487هـ/1094م ، قبل بضعة أشهر من وفاة الخليفة المستنصر ، تولى ابنه الأفضل منصب الوزارة ، وسار على نهجه في الاستبداد بحكم الدولة على حساب المستعلي بالله ابن الخليفة المستنصر (487-495هـ/1094-1101م) ، ومن بعده ابنه الأمر بأحكام الله الذي نجح بعد عشرين عاماً من توليه الحكم في سنة 495هـ/1101م ، في انهاء هذا الاستبداد ، بتدبير اغتيال الوزير الأفضل ، وذلك في سنة 515هـ/1121م . ثم تخلص من وزيره المأمون⁽⁴⁶⁾ في سنة

42 - ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص140، 141؛ النويري: نهاية الأرب، 202/28؛ ابن أبيك: كنز الدرر، 6/528، 531، 533، 534، 538، 540، 541، 548، 552، المقريزي: اتعاظ الحنفا، 189/3

43 - بدر الجمالي: هو أبو النجم بدر الجمالي ، المنعوت بالسيد الأجل ، أمير الجيوش ، سيف الإسلام ، ناصر الامام ، كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين . كان مملوكاً أرمنياً لجمال الدولة أبي الحسن علي بن عمار صاحب طرابلس الشام فلذلك عُرف بالجمالي . تولى دمشق للمستنصر سنة 455هـ/1063م لمدة سنة واحدة ، ثم تولاهما ثانيةً في سنة 458هـ/1065م حتى 460هـ/1067م ، ثم اصبح والياً على عكا إلى أن استنجد به المستنصر فقدم إلى مصر سنة 466هـ/1073م ، ثم كان من أمره ما لخصناه في المتن . ينظر: ابن الصيرفي: الاشارة إلى من نال الوزارة، ص55-56؛ المقريزي: المقفى، 2-394/402

44 - ينظر: ابن الطوير: نزهة المقلتين ، ص43-44° ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، 15/192-193؛ المقريزي: المقفى، 2/394-402؛ وينظر أيضاً: ماجد: نظم الفاطميين، 1/81-83؛ دخيل: الدولة الفاطمية، ص61 وما بعدها ؛ طقوش: تاريخ الفاطميين، ص339-343

45 - ابن خلكان: وفيات الأعيان، 2/450؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، 15/195؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا، 2/321

46 - الوزير المأمون: هو أبو عبد الله محمد بن فاتك بن مختار بن حسن بن تمام، الوزير الأجل المأمون ، المعروف بابن البطائحي،

38- ينظر: ابن الأثير: الكامل، 9/296-297؛ ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص124-126؛ النويري: نهاية الأرب، 28/197؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، 36/202، وينظر أيضاً : شيخو: وزراء النصرانية، ص147-148؛ الشيبان: مجموعة الوثائق الفاطمية، ص158-163

39 - المقريزي: اتعاظ الحنفا، 3/166

40 - ماجد: نظم الفاطميين، 1/199-200

41- ينظر: ابن الأثير: الكامل، 9/297؛ النويري: نهاية الأرب، 28/199؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، 37/14

أشهر ، وعمره نحو من سبع وسبعين سنة ، ولم يزل في جميعها محكوماً عليه ، يحكم عليه وزراؤه ((49))

اذن كما أشرنا آنفاً أن عدم دقة رواية ابن الأثير ومبالغتها يكمن في أن الحافظ قد حكم حوالي عشرين عاماً ، وإنه منذ اعتقاله الوزير رضوان في سنة 1139/534م لم يتخذ بعده وزيراً ، معتمداً على نفسه في إدارة الدولة بالتعاون مع بعض الكُتاب من دون أن يمنحهم لقب وزير ، وذلك لتجربته المبررة مع الوزراء السابقين الذين كانوا يعمدون إلى الاستبداد بحكم الدولة على حسابها . أي أن الحافظ مكث عشر سنوات من مدة حكمه البالغة حوالي عشرين عاماً بلا وزير ، فكيف إذن يصفه ابن الأثير بالمحكوم عليه من وزرائه طيلة مدة حكمه ؟ هذا من جانب .

ومن جانب آخر ، أن الحافظ لم يكن له يد في استبداد هؤلاء الوزراء عليه ، مثل أبو علي أحمد بن الأفضل الذي عُين وزيراً في اليوم نفسه الذي أُغتيل فيه الخليفة الأمر ، وعُين الحافظ ولي عهد كفيل لوريث الأمر . وكذلك بالنسبة إلى يانس الذي أساء إلى الخليفة الحافظ وحاول الاستبداد ، فعلى الرغم من أن الحافظ قد عينه بنفسه وزيراً مكافأةً لدوره في قتل أبي علي أحمد بن الأفضل ، إلا أنه لم يكن يعلم مسبقاً أنه سيعمد إلى الاستبداد كسابقه الذي فُرض عليه فرضاً . ومع ذلك فإن الحافظ لم يقف مكتوف الأيدي إزاء هذا الوضع ، وإنما عمل على التخلص من يانس هذا ، مما يدل على عدم رضاه عن استبداد هؤلاء الوزراء بحكم الدولة ، ورغبته في استعادة سلطته .

وعلی أية حال ، فإن نجاح الخليفة الحافظ لدين الله في إنهاء استبداد وزرائه بعد مرور ثمان سنوات من حكمه الفعلي وذلك سنة 1139/534م ، عند اقدامه على اعتقال الوزير الأخير رضوان بن ولخشي ، واستغنائه بعد هذا التاريخ عن اتخاذ الوزراء طيلة المدة المتبقية من حكمه البالغة حوالي عشرة أعوام ، منفرداً بحكم الدولة الفاطمية حتى وفاته سنة 1149/544م . هذا كله يبين عدم دقة رواية ابن الأثير ومبالغتها في وصف طبيعة خلافة الحافظ لدين الله قائلاً: ((وكانت خلافته عشرين سنة إلا خمسة

49 - الكامل، 361/9 ؛ ويُقال الشيء نفسه عن رواية المقرئزي (الخط، 33/2) التي اتصفت هي الأخرى بالمبالغة وعدم الدقة حين أشار فيها قائلاً : ((وصار وزير السيف من عهد أمير الجيوش بدر إلى آخر الدولة هو سلطان مصر وصاحب الحل والعقد ، واليه الحكم في الكافة من الأمراء والأجناد والقضاة والكُتاب وسائر الرعية ، وهو الذي يولي أرباب المناصب الديوانية والدينية)) . إذ تجاهلت رواية المقرئزي هذه صراع الحافظ مع وزرائه الذين استبدوا بحكم الدولة من دونه ، أو حاولوا الاستبداد ، ونجاحه في إنهاء استبدادهم وانفراده بحكم الدولة لمدة عشر سنوات . وكذلك الخليفة الأمر الذي سبق الحافظ في إنهاء استبداد وزراء عهده ، فكان له بذلك مزية سبق في إنهاء استبداد وزراء العصر الفاطمي الثاني الذي عُرف بعصر تسلط الوزراء . وبهذا لم يكن استبداد وزراء هذا العصر هو استبداداً مستمراً كما يُفهم من رواية المقرئزي المشار إليها أعلاه .

ويبدو أن أحد الباحثين (طقوش: تاريخ الفاطميين ، ص 330) قد تأثر برواية المقرئزي هذه حين أشار قائلاً: ((ويُعدُّ عهده (المستنصر) حداً فاصلاً بين عهد الأئمة الأقوياء ، وعهد الوزراء ، ففي أثنائه نُقلت السلطة الفاطمية نهائياً من أيدي الفاطميين إلى أيدي الوزراء ، فيما عُرف في التاريخ ، بعصر الوزراء ، ولم يتمكن المستنصر ولا من أتى بعده من التخلص من برائتهم)) .

ولد في سنة 1085/478م أو 1086/479م ، واتصل بخدمة الأفضل في سنة 1107/501م فحسن موقع خدمته عنده وسلم إليه جميع أموره وصرفه في سائر أحواله ، فاستعان بأخويه أبي تراب حيدرة وأبي الفضل جعفر ، ونُعت بالقائد ، فلم يزل على ذلك إلى أن قُتل الأفضل ، فولاه الأمر الوزارة . ينظر: المقرئزي: المقفى، 478/6-500

47 - ينظر: نصر الله : إنهاء الخليفة الأمر بأحكام الله تسلط

الوزراء في عهده ، ص 71-73

48 - الصالح طلائع بن رُزَيْك : هو أبو الغارات طلائع بن رُزَيْك الملقب بالملك الصالح ، استنجد به نساء القصر الفاطمي لما قُتل الخليفة الظافر ابن الحافظ في سنة 1154/549م بمؤامرة اشترك فيها الوزير عباس الصنهاجي وابنه نصر وأسامة بن منقذ ، وذلك ليقتص من قتلته . فقدم القاهرة وتولى الوزارة طيلة عهد الفائز ابن الظافر (549-555هـ/1154-1160م) ، وبعد وفاته جاء بالعاضد لدين الله إلى منصب الخلافة ، إلا أنه لم يل الوزارة له سوى عام واحد ، إذ أُغتيل في سنة 1160/556م بتدبير نساء القصر ، لاستبداده بحكم الدولة . ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، 526/2-530 ؛ المقرئزي: اتعاظ الحنفاء، 215/3 وما بعدها .

وربما يكون تعيين الحافظ في سنة 528هـ/1133م لابنه الأكبر سليمان ولياً لعهدده ومنحه صلاحيات الوزير⁽⁵⁰⁾ ، مؤشراً مبكراً على انه قد سأم من استبداد الوزراء ، وانه فقد الثقة بالوزير ولا سيما بعد استبداد يانس الذي كان الحافظ يأمل من تعيينه بمنصب الوزارة أن يتجاوز المحنة التي تعرض لها على يد أبي علي أحمد بن الأفضل . لا بل ان سأم الحافظ من استبداد الوزراء قد سبق هذا التاريخ المشار إليه آنفاً بحوالي عام أو أكثر بقليل ، حين تخلص من وزيره يانس في أواخر عام 526هـ/1131م وبقي بعد ذلك بلا وزير حتى عام 529هـ/1134م حين أقدم على تعيين بهرام النصراني وزيراً كما مر بنا ذلك من قبل ، أما ابنه الأكبر سليمان الذي عينه ولياً لعهدده في عام 528هـ/1133م ، فعلى الرغم من منحه صلاحيات وزير، إلا انه لم يكن وزيراً فعلياً ، وإنما كان ولي عهد يمارس صلاحيات وزير من دون أن يُعَيَّن بهذا المنصب الأخير أو يتلقب به بشكلٍ رسمي .

وعلى أية حال ، فالحافظ لم يكن محظوظاً هذه المرة أيضاً ، إذ توفي ابنه الأكبر وولي عهدده سليمان بعد شهرين من تعيينه ، فولى الحافظ عهدده لابنه الآخر أبي تراب حيدرة الذي لم يرض عن تعيينه أخوه الحسن ، لأنه كان يعدّ نفسه أجدر منه بولاية العهد ، لكونه أكبر أبناء الحافظ الأحياء بعد وفاة أخيه سليمان ، ونظراً لامتلاكه النفوذ والطموح الكبير في السلطة . فتطور هذا الرفض الى وقوع نزاع بين الأخوين انتهى بتغلب الحسن الذي أساء السيرة مع أبيه الخليفة الحافظ ، فحجر عليه واستبد بالحكم من دونه ، وقتل عدداً كبيراً من رجال الدولة وقادتها ، حتى أدى ذلك الى سأم من تبقى منهم من تصرفات الحسن هذا ، فتظاهروا أمام القصر ، وهددوا الحافظ بالخلع إن لم يسلمهم ابنه الحسن ، الذي بدأ وضعه بالتراجع حينذاك ، فلجأ الى أبيه . ولكن الحافظ حاول تهدئتهم من دون جدوى ، إذ لم يرضوا إلا بقتل الحسن . فما كان منه إلا أن يرضخ مضطراً الى طلبهم ، فعمل على سم ابنه في سنة 529هـ/1134م⁽⁵¹⁾.

ثم عيّن الحافظ بعد ذلك أرمناً نصرانياً في منصب الوزارة يُدعى بهرام ، لأنه كان يعتقد انه سوف لن يستبد به كالوزراء المسلمين . ولكن هذا قد أساء السيرة مع المسلمين ، وقرب أبناء ملته من النصارى على حسابهم ، مما أدى الى نقمة المسلمين عليه التي أفضت الى دعوة والي الغربية رضوان بن ولخشي للتخلص من بهرام هذا ، وتم التخلص منه وتعيين رضوان وزيراً ، الذي لم يكتف بالاساءة الى الحافظ أو الاستبداد بالحكم من دونه ، بل حاول خلع من منصب الخلافة كما بينا فيما سبق . ولكن محاولته هذه قد باءت بالفشل ، وكان نتيجتها أن أقصي من الوزارة وانتهى به الحال بزجه في السجن ليقبع فيه مدة ثمان سنوات ، إذ نجح في الفرار من محبسه سنة 542هـ/1147م ، محاولاً استعادة سلطته ، إلا ان هذه المحاولة كلفته حياته في السنة نفسها⁽⁵²⁾ .

ولا يفوتنا أن ننوه هنا الى أن رضوان هذا قد سبق له قبل اعتقاله من الحافظ ، أن فرّ الى بلاد الشام لاجئاً الى أحد حكامها وهو والي صرخد⁽⁵³⁾ ، كي يمدّه بقوات عسكرية يتمكن من خلالها العودة الى مصر واستعادة سلطته ، إلا ان محاولته هذه لم يحالفها النجاح هي الأخرى ، لهزيمته أمام قوات الحافظ بعد تخلي معظم القوات التي جاءت برفقته من بلاد الشام عنه مما أدى الى فشله⁽⁵⁴⁾.

وعلى الرغم من فشل كل محاولات رضوان في الاستبداد بالحكم على حساب الخليفة الحافظ ، أو محاولة خلع من الخلافة ، وأخيراً في استعادة سلطته بعد فقدانها ، إلا ان هذا كله لا يقلل من حجم الخطر الذي شكله على الخليفة الحافظ ، الذي يكاد يماثل الخطر الذي شكله من قبل الوزير أبو علي أحمد ، كما أن ذلك قد أثبت في الوقت نفسه بما لا يدع مجالاً للشك قدرة الحافظ على مجابهة هذه الأخطار والتحديات التي تعرض لها من وزرائه المذكورين وآخرهم رضوان بن ولخشي الذي تمكن من قتله بمساعدة السودان .

52 - ينظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص460-461 ؛ ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص137-138 ؛ المقرئزي: اتعاظ الحنفاء، 183/3-184 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 272/5

53 - صرّخد : هي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة، ملاصقة لحوارن من أعمال دمشق . ياقوت الحموي: معجم البلدان ، 184/5

54 - ينظر: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص423-424 ، 427 ؛ ابن الأثير: الكامل ، 297/9 ؛ ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص131 ، 132 ؛ النويري: نهاية الأرب، 198/28-199 ؛ الذهبي: تاريخ الاسلام ، 202/36 ، 14/37

50- ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص37 ؛ ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص121 ؛ المقرئزي: اتعاظ الحنفاء، 149/3

51- ينظر مع اختلاف في التفصيلات: ابن الأثير: الكامل ، 280/9 ؛ ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، ص119-120 ، 122-121 ؛ النويري: نهاية الأرب، 194/28-195 ؛ المقرئزي: اتعاظ الحنفاء، 149/3 ، 150 ؛ وينظر أيضاً: ابن الطوير: نزهة المقلتين، ص37-40 ، ولكنه لم يشر الى قيام الحافظ بتعيين ابنه حيدرة ولياً للعهد بعد وفاة ابنه الأكبر سليمان ، ومن ثم لم يشر الى الخلاف الحاصل بين الأخوين .

وبذلك انتهى صراع الحافظ مع وزرائه -الذين كان كل منهم محاطاً بالأتباع أو بطائفة من الجند المؤيدين - لصالحه . هذا ولا ننسى أن من العوامل التي ساعدت هؤلاء الوزراء أو بعضهم على الاستبداد هو سوء اوضاع الدولة الفاطمية في ذلك الوقت ولا سيما بعد اغتيال الخليفة الأمر وظهور مشكلة وريث له في حكم الدولة ، مما أتاح الفرصة لهؤلاء الوزراء الى الظهور مدفوعين بظموحهم الى تولي السلطة والاستبداد بها جرياً على التقليد الذي أحدثه في الدولة الفاطمية بدر الجمالي أول وزراء التقويض ، بحيث ان هذا الاستبداد قد شمل أيضاً الوزراء الذين عينهم الحافظ برغبة منه من دون أن يفرضوا عليه فرضاً . فضلاً عن ذلك هناك عامل آخر يتمثل بانقسام الأسرة الفاطمية أو المذهب الاسماعيلي على نفسه في عهد الحافظ انقساماً ثانياً بعد الانقسام الأول الى نزارية ومستعلية ، اذ انقسم الاسماعيلية أيضاً الى حافظة وطيبية ، مما أدى الى اضعاف الدولة الفاطمية نتيجة حدوث الانشقاق الداخلي في صفوف أنصار عقيدتها ، وكان في نهاية الأمر من الأسباب المهمة في سقوطها النهائي عام 567هـ/1171م .

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:-

1. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت 630هـ/1232م) الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م .
2. ابن أبيك ، ابو بكر بن عبد الله الدوادري (ت بعد 736هـ/1335م)
3. كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السادس المسمى (الدررة المضية في أخبار الدولة الفاطمية) ، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1380هـ/1961م .
4. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت874هـ/1469م)
5. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م .
6. ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر (ت 681هـ/1282م)
7. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر ، بيروت، (د.ت) .

8. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1347م)
9. تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1415هـ/1994م .
10. سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ/1997م .
11. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ/1505م)
12. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، القاهرة، 1387هـ/1967م .
13. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ/1153م)
14. الملل والنحل، تصحيح وتعليق: أحمد فهمي محمد، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م .
15. ابن الصيرفي المصري، أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان (ت542هـ/1147م)
16. الاشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق وتعليق: عبد الله مخلص، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1924م .
17. ابن الطوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت 617هـ/1220م)
18. نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق وتقديم: أيمن فؤاد سيد، ط1، دار النشر: فرانتس شتاينر، شتوتغارت-المانيا، 1412هـ/1992م .
19. العباسي الصفدي، الحسن بن أبي محمد عبد الله الهاشمي (ت بُعِيدَ 717هـ/1317م)
20. نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 1424هـ/2003م .
21. ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت 1089هـ/1678م)
22. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق وتعليق: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، ط1، دار ابن كثير ، دمشق-بيروت، 1410هـ/1989م .
23. عمارة اليمنى، نجم الدين عمارة بن علي اليمني (ت569هـ/1173م)

24. تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها ، تحقيق وتعليق: محمد بن علي الأكوخ الحوالي، ط2، مطبعة السعادة، القاهرة، 1396هـ/1976م .
25. ابن القلانسي، مجد الرؤساء أبو يعلى حمزة بن أسد (ت555هـ/1160م)
26. ذيل تاريخ دمشق 360-555هـ، تحقيق سهيل زكار، ط1، دار حسان، دمشق، 1403هـ/1983م .
27. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت450هـ/1058م)
28. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: احمد مبارك البغدادى، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1409هـ/1989م .
29. المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ/1441م)
30. اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: محمد حلمي ، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1416هـ/1996م .
31. المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1411هـ/1991م .
32. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشراوي، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م.
33. ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جَلْب راجب (ت677هـ/1278م)
34. المنتقى من أخبار مصر، انتقاها تقي الدين أحمد بن علي المقرئ سنة 814هـ/1411م ، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، الناشر: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، (د.ت) .
35. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م)
36. نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2004م .
37. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1228م)
38. معجم البلدان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت، 2008م.
39. أبو يعلى، محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت458هـ/1065م)
40. الأحكام السلطانية، تصحيح وتعليق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2000م.
41. ثانياً- المراجع:-
42. تامر، عارف الامامة في الاسلام، ط1 ، دار الأضواء، بيروت، 1419هـ/1998م .
43. تاريخ الاسماعيليه، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن- قبرص، 1991م.
44. دخيل، محمد حسن
45. الدولة الفاطمية- الدور السياسي والحضاري للأسرة الجمالية ، ط1 ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2009م .
46. سرور، محمد جمال الدين
47. تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت) .
48. الشيال، جمال الدين
49. مجموعة الوثائق الفاطمية- وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م.
50. شيخو، لويس
51. وزراء النصرانية وكُتَّابها في الاسلام (622-1517م)، تحقيق وتقديم: الأب كميل حشيمه اليسوعي، المكتبة البُولسِيَّة، لبنان، 1987م .
52. طقوش، محمد سهيل
53. تاريخ الفاطميين في شمالي افريقيا ومصر وبلاد الشام (297-567هـ/910-1171م)، ط2، دار النفائس، بيروت، 1428هـ/2007م .
54. ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر- التاريخ السياسي، ط4، دار الفكر العربي، القاهرة، 1414هـ/1994م.
55. نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1953م .
56. المناوي، محمد حمدي
57. الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، مصر ، 1970م .
58. نصر الله ، علي صدام
59. إنهاء الخليفة الأمر بأحكام الله تسلط الوزراء في عهده (495-524هـ/1101-1129م) وانفراده بحكم الدولة

الفاطمية، مجلة دراسات تاريخية ، العدد الحادي والعشرون ،
كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، كانون الأول 2016م .